١٠ فوائد للتناول

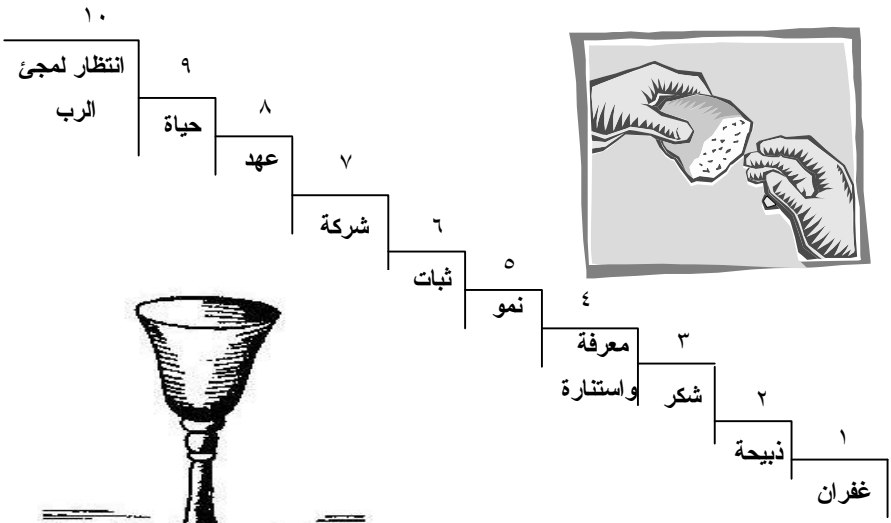

تمهيد

لـــو قـــدر أن طبيباً فى هذا الجيل اكتشف عقاراً يهب الصحة والسعادة والشباب ، ويطيل العمر ، ويبهج القلوب الحزينة ، ويغنى الفقراء ويعزى الحزانى ، ويعطى سلاماً للنفوس وحكمة للجهلاء :

+ فكيف تظن سوف تكون استجابة الناس لمثل هذا الدواء الشامل النافع ؟

+ ترى ماذا سيكون مدى تهافتهم عليه مهما كانت التكاليف ؟

+ بالطبع سيكون هذا الدواء طويل المفعول ولكن مفعوله سينتهى يوماً ، فهو لن يمنع الإنسان من الشيخوخة والوفاة . بل فكر معى :

+ فـــى أن الأطـــباء قد يصلوا إلى زرع أى عضو من الأعضاء التى تلفت فى الجسم، مما يتيح للشـــخص أن يعيش حياة عادية بالاستعانة بما نقل له من أعضاء تحييه ، كم تكون استجابة الناس ؟ رغم أن هذا الحل لن يفيد إلى الأبد ولن يمنع الشخص من الموت عندما يحل أجله ٠

+ والآن فكـــر فى إن هذا الدواء موجود فعلاً كل يوم على المذبح ، وهو يعطى كذلك حياة أبدية لمن يتناول منه ٠

+ ولأن هــذا الدواء أغلى من أن يقدر بثمن ، فإن الرب يعطيه بالمجان لكل من يتوب ويقبل إليه .

سوف نقدم فى هذه الدراسة عشرة فوائد روحية للتناول من جسد الرب ودمه .

١ - التناول غفران

وأعطى الرب لتلاميذه هذا السر قائلاً : خذوا كلوا فإن هذا هو جسدى الذى يقسم عنكم ويبذل من أجلكم لمغفرة الخطايا .

إن الخطايــا اليومية التى تقترف بعد المعمودية ، فهذه تغفر بسر القربان المقدس إذا قدمت عنها تــوبة صــادقة ، لأن ســر القــربان هــو أيضاً ذبيحة الصليب عينها التى تمت بها الكفارة ، ولا تزال استحقاقاتها تشملنا إلى الأبد .

٢ - التناول ذبيحة

وإذن فذبيحة الإفخارستيا هى بعينها – فى طبيعتها وجوهرها – ذبيحة الصليب . كل ما هنالك أن ذبــيحة الصــليب ذبيحة دموية ، سفك فيها دم المسيح الرب بطريقة مادية منظورة ملموسة محسوسة ، وأمــا ذبــيحة الإفخارســتيا فغير دموية وتتم بطريقة سرية غير محسوسة ولا ملموسة أو منظورة ، تتم تحــت أعــراض الخبز والخمر . تلك قدمت على الصليب مرة ولا تتكرر إلى الأبد ، وأما هذه فتقدم كل يوم يقام فيه القداس : استرحاما واستعطافا لله عن خطايا جميع الناس ، ولا سيما الذين قدموها والذين قدمت بواسطتهم .

يقــول الكاهن فى مطلع أحد القسم " **هذا كائن معنا اليوم على المائدة عمانوئيل إلهنا ، حمل الله الذى يحمل خطيئة العالم كله** " .

لقــد كــان ذبــح خروف الفصح فى العهد القديم ذكرى لخلاص بنى إسرائيل من ضربة الملاك المهلــك الــذى رأى الــدم على أبواب بيوت العبرانيين ، فعبر عنهم . وخروف الفصح نفسه كان رمزاً وإشارة إلى وسيط العهد الجديد فادى نفوسنا يسوع المسيح الذى سفك دمه الطاهر عنا ، وبذل جسده عن حــياة العالم . وكما صار الأمر إلى بنى إسرائيل أن يصنعوا خروف الفصح تذكاراً لذلك الخلاص الذى تــم مرة ، صار كذلك الأمر إلى كنيسة المسيح من قبل الرب نفسه أن يصنعوا سر التناول ، فصح العهد

الجديـــد ، تـــذكاراً دائمـــا لموت الفادى الوحيد وخلاصه العجيب . والذكرى حضور فعلى لواقع وليس لماضى ٠ فالذبيحة إذن حاضرة ذبيحة الصليب المجيد ، هنا واليوم ٠

٣ - التناول

" **وأخذ يسوع خبزاً ، وشكر ، وباركه ، وقسمه** "

أننا جميعاً نقدم لله خبز الأرض بشكر فإنه يتقبله منا .

وحـــين نقدم قلوبنا مرفوعة فهى قربان ورائحة رضا للرب ، ويعوضنا الرب بأن يعطينا خبز السماء مقابل تقدمتنا البسيطة من الخبز

ومقابل تقديم أجسادنا وأرواحنا

فإنه يعطينا جسده وروحه

وهكذا تظل عطية الله متفوقة

ولهـــذا وفـــى مطلـــع القداس ينادى الكاهن الشعب قائلاً " **فلنشكر الرب** " فيرد الشعب "**مستحق وعادل** " ، " **مستحق ومستوجب** "

ولذا فإن سر التناول يسمى أيضاً سر الشكر وذبيحة الشكر (= الإفخارستيا) .

٤ - التـــــناول معـــــرفة

إن تلميذى عمواس ، لوقا وكليوباس ، لما تناولا من يد السيد المسيح الخبز الذى باركه ، انفتحت أعينهما وعرفاه .

٥ ــ التناول نمو

يحمينا التناول من السقوط والخطية ، بيد أن لسر التناول عملاً آخر وفعالية أبعد مدى . فليس هو درعـــاً واقـــياً فقط وإنما هو قوة دافعة للأمام . وبعبارة أخرى كما أنه سر الصون والحفظ هو أيضاً سر الـــنمو والـــتقدم . إن الـــنمو الروحى يجعلنا نحيا حياة القداسة فالقداس يقدسنا ويتناول القدسات القديسون والمقدسون الذين طهرهم وقدسهم روح الله القدوس ٠

٦ – التناول ثبات

كما يثبت الغصن فى الكرم

هكذا يقول المخلص " **من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا أيضاً فيه** "

والثبات ضد السقوط ، وضد الفناء . الثبات معناه البلوغ إلى حالة من شدة ودوام الترابط والتماسك بين أثنين ، مع التوطد ، والتمكن ، والرسوخ ، بل والتداخل ، والنفاذ ، والتغلغل أحدهما فى الآخر .

وأما الخطوة الثانية فى هذه العلاقة المتدرجة التى تنتهى بالاتحاد الكامل فهى درجة الثبات فى المسيح له المجد .

وأما الدرجة الثالثة ، ولعلها العليا ، فهى درجة الاتحاد الكامل . فيها يفنى المؤمن عن نفسه فناء تاماً ، ولا تبقى له إرادة خاصة ، ولا رغبة خاصة ، بل يصل إلى مرتبة اختيارية يصبح مشبعاً فيها بإرادة الله ومشيئته ، وملتهباً بمحبة الله إلتهاباً كاملا مع تمام الإيمان به ، والتوكل عليه ، والتسليم له ، والثقة بمحبته وصلاحه وخيريته وقداسته وعدالته وعمق حكمته وكمال صفاته ، ثقة بغير حدود . هنا فى بهاء هذا النور وشدة لمعان هذا الضياء وكشف ما وراء الحجاب ، يحتقر المؤمن إرادته الخاصة ، ومشيئته الخاصة فيهملها راضياً مختاراً مسلماً قياد حياته لله فى إيمان ورضى وسرور وفرح .

٧ - التناول شركة

وإذا كان سر التناول يوحدنا مع المسيح له المجد ، فى جسده الطاهر ودمه الكريم ، فهو إذن سر الشركة بيننا وبينه من جهة ، وفيما بيننا مع بعضنا بعضاً من جهة أخرى . قال الرسول معبراً عن هذا السر بوصفه شركة جسد المسيح ودمه : " **كأس البركة التى نباركها ، أليست هى شركة دم المسيح . والخبز الذى نكسره ، أليس هو شركة جسد المسيح . فأننا نحن الكثيرين ، خبز واحد ، وجسد واحد ، لأننا جميعاً نشترك فى الخبز الواحد** " . ثم يقول " **لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس الشياطين . لا تقدرون أن تشتركوا فى مائدة الرب ، وفى مائدة الشياطين** " .

٨ – التناول عهد

إن أول خطوة فى العلاقة المتدرجة إلى الكمال هى الدخول فى عهد مع الله ، لأن التناول هو نفسه عهد وميثاق بين المؤمن وبين الله .

فيه عهداً جديداً بدمه : " **وأخذ كأس وشكر وأعطاهم ، وقال اشربوا من هذا كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا** " .

ولـــم يكـــن دم الخـــروف ذا قيمة فى ذاته . وإنما كل قيمته فى أنه إشارة ورمز إلى دم الفادى ، وســـيط العهد الجديد الذى صار لنا بدمه الكفارة والفداء . لذلك تنبه أنبياء العهد القديم بالروح القدس إلى العهـــد الجديـــد بدم الفادى كعهد يربط بين المؤمنين وبين الله فى المسيح ، وتنبأوا عن عهد جديد يقطعه الرب مع شعبه ، وليس كالعهد القديم : " ها أنها تأتى أيام ، يقول الرب ، أقطع فيها مع آل إسرائيل وآل يهـــوذا عهـــداً جديداً ، لا كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أخذت بأيديهم لأخرجهم من أرض مصر ، لأنهم نقضوا عهدى فأهملتهم أنا يقول الرب . ولكن هذا العهد الذى أقطعه مع آل إسرائيل بعد تلك الأيام يقـــول الـــرب هـــو : أنـــى أجعل شريعتى فى ضمائرهم ، وأكتبها على قلوبهم ، وأكون لهم إلها ، وهم يكونـــون لـــى شعباً ... لأنى سأغفر آثامهم ، ولن أذكر خطاياهم من بعد " وقد أورد بولس الرسول فى رســـالته إلى العبرانيين هذه النبوة بنصها ، وربط بينها وبين ما تم فى المسيح فى العهد الجديد ، وهو (أى الرســـول) فى صدد المفاضلة بين العهد الجديد والعهد القديم، مبينا سمو العهد الجديد القائم على دم المسيح الفادى ٠

وهـــذا مـــا حـــدث فعـــلاً فـــى لـــيلة آلام مخلصنا فقد ختم العهد القديم بإتمام الفصح القديم وبدأ بالإفخارســـتيا العهـــد الجديـــد . ولذلك سمى هذا اليوم عند المسيحين " بخميس العهد " إذ قطع الرب فيه عهداً جديداً بدمه قائلاً " هذا هو دمى للعهد الجديد " .

وإذا كـــان الاتفاق بين طرفين يثبت عادة بطعام يأكلانه معا ويعتبر أنه عهداً لا يجوز لأحدهما أن ينقضـــه ، وإلا عـــد خائـــنا ، فإن الرب شاء أن يدخل معنا فى عهد مقدس . غير أنه لم يثبت هذا العهد بطعـــام عـــادى ، ولا حتى بفريضة مقدسة كفريضة الفصح القديم ، ولكنه ثبت العهد الجديد بجسده هو نفســـه ودمـــه الكريم بقوله " خذوا كلوا هذا هو جسدى ... خذوا اشربوا من هذا كلكم لأن هذا هو دمى الـــذى للعهد الجديد الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا . ولذلك كتب الرسول بولس يبين جسامة شر الـــذين يدنسون العهد الجديد الذى ثبته المسيح بدمه : " فأنه من تعدى ناموس موسى ، فبقول شاهدين أو ثلاثـــة شهود يقتل بلا رحمة . فكم تظنون يستوجب عقابا أشد من داس ابن الله ، وحسب دم العهد الذى قدس به نجساً وازدرى بروح النعمة "

ومن يطالع الكتاب المقدس بعهديه يجد أن الرب يجعل الدم علامة العهد بينه وبين شعبه .

ففى العهد القديم كان دم الخروف هو الذى تلطخ به قائمتا باب البيت وعتبته العليا ، فيكون علامة الخلاص من ضربة المهلك .

٩ – التناول حياة

وهكــذا أمر الرب بالنسبة للمؤمنين الذين دفنوا معه فى المعمودية ، وقاموا معه من بين الأموات بمجــد الآب ، ليســلكوا فى جدة الحياة ، أن يأكلوا طعاماً جديداً مجيداً يناسب الخليقة الجديدة ، وهو سر التناول الذى رسمه طعاما وغذاء روحانيا لمن يسلكوا بالروح .

قــال مخلصنا أنا هو خبز الحياة . آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من الســماء لكى لا يموت كل من يأكل منه . أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . أن أكل أحد من هذا الخبــز يحيا إلى الأبد . والخبز الذى أنا سأعطيه هو جسدى الذى سأبذله عن حياة العالم . فخاصم اليهود بعضــهم بعضا قائلين : كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكله . فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : إن لــم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلا حياة لكم فى أنفسكم ... كما أرسلنى الآب الحى ، وأنا أيضــا أحــيا بالآب ، فمن يأكلنى يحيا هو أيضا بى . هذا هو الخبز الذى نزل من السماء ، ليس كالمن الذى أكله آباؤكم وماتوا . " من يأكل هذا الخبز فانه يحيا إلى الأبد " .

بسر القربان نحصل على امتياز القيامة المجيدة

فقد قال مخلصنا " من يأكل جسدى ويشرب دمى ، فله الحياة الأبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ، لأن جسدى هو مأكل حقيقى ، ودمى هو مشرب حقيقى "

من أقوال الآباء :

يقول القديس إيريناوس أسقف ليون :

" هكذا أجسادنا التى قبلت الإفخارستيا ليست بقابلة للفساد لأن فيها رجاء القيامة " . ويقول أيضا " كــيف يقولون : أن ذاك الجسد الذى اغتذى من الرب ودمه ، يصير إلى الفساد ، ولا ينال الحياة ؟! إذن فليعدلوا عن زعمهم ، أو فليكفوا عن الذبيحة " .

١٠ – التناول انتظار لمجئ

" ... فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز ، وشربتم هذه الكأس ، تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ "

سر القربان يعدنا للأبدية السعيدة وللأمجاد السمائية .

قال له المجد " أنا هو الخبز الحى النازل من السماء . إن أكل أحد من هذا الخبز ، يحيا إلى الأبد ... من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية ... هذا هو الخبز الذى نزل من السماء من يأكل هذا الخبز ، فانه يحيا إلى الأبد "

+ أيهـــا الســـيد الـــرب يسوع المسيح إلهنا . إنى أطمئن قلبى ، وفكرى ، وكل حواسى الباطنة ، والظاهرة ، تعبداً وشكراً ، وتمجيداً ، لمحبتك التى لا توسع ، وغنى نعمتك الذى لا يعبر عنه .

+ أن تتنازل وتتجسد من أجلى ، متخذاً صورتى وشكلى ، وتشاركنى فى اللحم والدم ، هذا حنان عظيم ، أنا لا أستحقه ...

+ وأن تتفضـــل فتفدينـــى بدمك وتذوق الموت بالجسد بدلاً عنى ، لتعتقنى من عبودية إبليس ومن أســـره ، وتفتح لى الفردوس من جديد ، فهذا حب كبير ليس له فى الدنيا مثيل . كلما تأملته وتفكرت فيه لم أجد له نظير فى كل تصورات بنى البشر الذين تأملوا آلهتهم وتغنوا بصفاتها.

+ لكـــنك يـــا خالقى لم تصنع ذلك كله فقط من أجلى . وإنما من فرط حبك أردت لى أن أحيا بك وفـــيك . فوهبتنى أن أجرؤ لا على الكلام معك فحسب بل أن أقترب للمس جسدك ودمك ، بل أن تدخل بهمـــا إلى جوفى ، فيتحد بهما جسدى ودمى ، فنصير معاً ، أنت وأنا ، جسداً واحداً هذا هو سر الزواج الروحانى الذى يقرن نفسى بك ، فتصح به نفسى عروساً لك تصب فيها حبك ودمك لتحيا به وتثمر وتلد أولاداً لملكوت السماوات .

+ كـــيف لى يا إلهى أن أفهم هذا السر العميق ! إنه أعلى من منسوبى ، أسمى من تفكيرى . أنى أؤمـــن به يارب ، فأعن إيمانى ، وارفع عن عينى الحجاب لتبصر مجدك وتعاينا جلالك . واسكب فى " إيماناً بغير فحص " لأصدق وعدك ، وأثق فى قولك وقدرتك ثقة بغير حدود ...

+ إرفـــع يـــا ســـيدى عقلى فوق احتمال الحواس وامنحنى أن أسمو فوق الحسابيات والهندسيات والكيميائيات ، وأعلو فوق مقاييس العقل المادى والمنطق البشرى ...

أعطنـــى الرهبة التى تليق بهذا السر العظيم ، والورع المناسب الذى استقبل به موهبتك التى تعلو على الطبيعة ...

+ هبنى فهماً أقوى من فهمى ، وبصيرة أنفذ من بصيرتى الطبيعية ...

إجعلنى أن أنسكب أمامك انسكاباً ، وانطرح أمامك بالتمام ، لتحل فى حلولا حقيقياً ، لا مجازياً ، وتدخل إلى بيتى ، إلى نفسى .

+ قـــل لى يارب : " إنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك " ، " اليوم قد حصل الخلاص لهذا البيت " " لأنـــه هو أيضاً ابن إبراهيم " بل هو ابنى الذى ولدته فى الجلجثة ، ودفنته معى فى المعمودية ، وأقمته معى للمجد ...

+ تعـــال يـــارب وكلمنى " كلاماً به أخلص " وأحيا . ونَاجِ نفسى مناجاة العريس لعروسه التى أخلص لها الحب وأخلصت له الطاعة والوفاء " قل لنفسى خلاصك أنا "

+ هـــا أنـــت مـــزمع يا إلهى " أن تدخل تحت سقف بيتى " ، وأنا غير مستحق ، فماذا أصنع بك يـــارب ؟ لا أدرى ! لذلك أصرخ من أعماقى ، وباتضاع من لا يفهم : " يارب ، ماذا تريد أن أصنع " ! ولما كنت أيضا لا أعرف كيف أرضيك كما ينبغى ، فإنى أهتف مع أحد قديسيك وأقول " مر بما تريد ، واصنع ما تأمر به . "

+ أدخل يا مخلصى . أدخل أيها الابن الوحيد ومعك الآب والروح القدس ، واصنع من بيتى مقراً ومنزلاً ، لا ليوم واحد بل لجميع أيامى فى الأرض ، وفى عالم الأبد .

+ ها أنا يارب أعددت بيتى وسريرى على قدر ما أفهم ! نعم يا صاحب الجلالة إنه إعداد ناقص جـــداً ، ولا يليق بتاتاً باستقبالك يا إلهى . ولكننى أخشى أن أتباطأ عن قبولك بحجة إعداد نفسى الإعداد الكامـــل ، فأتلكـــأ أيامـــاً وأتكاسل زماناً ، وأحرم من جودك معى دائما . ولذلك فقد عزمت أمرى وقلت لنفســـى : لن أتأخر عن اليوم بحجة استعداد أكبر . ولعلك يا جابلى تكمل بنعمتك ومراحمك ما نقص من استعدادى .

+ أدخل يارب ، وافتح بيديك منافذ نفسى المغلقة ليكن اليوم الذى تقبل أن تدخل بيتى فيه ، وأقبلك أنا فى بيتى فى سعادة لا توصف ، هو يوم الدخول الذى لا خروج لك من بعده . ولتأت " ملائكة السماء فى خدمتك " فتحيط بى أيضا من كل جهة .